جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات العليا / الدكتوراه / أصول الدين

المادة : العقيدة

المرحلة : الدكتوراه / أصول الدين

اسم التدريسي: أ.د. سعد فتح الله عمر حسين

المحاضرة الثامنة: رهبة يوم القيامة واهوالها

بعد ان اخبر الباري عز وجل عن التوحيد وعن النبوة،جاء دور الاخبار عن يوم القيامة واهواله،والاخبار عن الامور الغيبية ،ومن الوقائع الرهيبة التي تقرع بالنفس وترهب القلب،من ظهور الغمام،ونزول الملائكة ودورهم في العذاب،وتغيير معالم الكون وغير ذلك،وايضاح حسرة المشركين الكفرة على ما فاتهم في الحياة الدنيا،وتمنيهم لو كانوا قد اطاعوا الرسول ﷺ فيما امر ونهى،ولم يكونوا ممن اطاعوا الشياطين من الانس والجن،وهذا ما ذكره الله تعالى عن هذا اليوم في اربعة صفات هي: في قوله تعالى: (ويم تشقق الماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا*الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا*ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا*يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا*لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا)[1]

وتفصيل ذلك على النحو التالي:-

اولا:- انشقاق السماء بالغمام وتنزيل الملائكة

(ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا).

يخبر الباري عز وجل عن عظمة يوم القيامة ،أي –اذكر يا محمد ﷺ ذلك اليوم الرهيب يوم تشقق السماء الدنيا وتنفطر عن الغمام الذي يكون في كل مكان حتى يسود الجو ويغم القلب لشدة ظلمته.

فالله سبحانه وتعالى يذكر ويخبر عن طريق الرسول محمد ﷺلمشركي مكة عن يوم القيامة[2]وعظمته ،ويوم القيامة هو البداية الحقيقة للعالم الاخر وكل ما فيه من احوال وامور،حيث يتبدل نظام هذا الكون بشمسه وكواكبه ونجومه،قال تعالى(يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين)[3]،وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى يوم القيامة وتوضح علاماتها،والسبب يعود ان المشركين الجهلة لا تتسع افاقهم الفكرية والتصويرية عن وجود حياة اخرى غير هذه الحياة الدنيا،ولا في عالم اخر غير هذا

---

[1] الفرقان :الايات ٢٥-٢٩.

[2] يوم القيامة-هو ذلك اليوم العظيم الرهيب،الذي يضطرب فيه العالم ،ويفسد نظامه،فتهلك جميع الاحياء،ينظر:كتب اصول الدين الاسلامي-للدكتور رشدي عليان ود.قحطان الدوري،ص٤٤٩،ط١-مطبعة دار الحرية –بغداد،ساعدت جامعة بغداد على طبعه،١٩٧٧م.

[3] الانبياء:الاية ١٠٤.

العالم الحاضر ،لانه افكارهم وتصوراتهم اشبه بمشاعر الحيوانات،كما في قوله تعالى (وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين).[٤] [٥]

فالمشركون الكفرة في زمن الرسول محمد ﷺ ينكرون يوم القيامة،ويظهرون العجب والاستغراب من وجود حياة اخرى غير هذه الحياة التي يعيشونها،فاخبار الرسول ﷺ لهم بان بعد هذه الحياة الدنيا،حيا ة اخرى وهي بعثهم من القبور احياء مرة ثانية في اليوم العظيم للحساب والجزاء على الاعمال الكائنة منهم في تلك الحياة الدنيا.

والواقع ان الجهلة الكفرة من مشركي قريش،يستبعدون البعث ووقوعه ظنا منهم ان قدرة الله تعالى تشبه قدرتهم،فقاسوا قدرتهم على قدرة الله تعالى،وذلك كله دليلا على جهلهم لهذا جاء التوكيد في هذه الاية الكريمة على عقيدة يوم القيامة لتكون واضحة وثابتة في قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام).

أي –اذكر ايها النبي ﷺ للمشركين من قومك يوم تتشقق[٦]السماء عن الغمام[٧]وتتفتح عنه،ويتبدل نظام العالم،وتنهي الدنيا،تصبح الشمس والكواكب اشبه بالغمام لتفرقها وتحللها وتناثرها في الجو[٨]،كما قال تعالى (اذا السماء انفطرت*واذا الكواكب انتثرت)[٩]وقال سبحانه (وفتحت السماء فكانت ابوابا*وسيرت الجبال فكانت سرابا)[١٠]

وقال عز وجل (فيومئذ وقعت الواقعة*وانشقت السماء فهي يومئذ واهية).[١١]

فهنا يصور الله سبحانه وتعالى للمشركين الجهلة،مشهد انقلاب تام لكل ما هو معهود وثورة شاملة لكل موجود تشترك في الانقلاب كل الاجرام السماوية والارضية،حيث ينكشف كل مستور،ويتضح كل مجهول،حيث نلاحظ في ذلك اليوم العظيم ان الشمس التي ترسل اشعتها

---

[٤] الانعام:الاية ٢٩.

[٥] ينظر:االعقيدة الاسلامية واسسها –لعبد الرحمن الميداني–ص٦٢٤،واليوم الاخر –للدكتور عمر سليمان الاشقر ١/٦–٧–دار النفائس للنشر والتوزيع –الكويت.

[٦] التشقق : من الشق،كقولك: شققته نصفين،وكقوله تعالى (يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير)سورة ق:الاية ٤٤ .ينظر: المعجم الوسيط–اخراج ابراهيم مصطفى واحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار–١/٤٩١.

[٧] الغمام: من الغم،وهو ساتر الشيء،كستر الشمس.ينظر: المفردات في غريب القرآن –لر اغب الاصفهاني–ص٣٦٥.

[٨] ينظر: الجامع لاحكام القرآن–للقرطبي ١٣/٢٦–٢٧،والتفسير الكبير لرازي ٢٤/٧٧–٧٨.

[٩] لانفطار:الايتان١–٢.

[١٠] النبأ: الايتان ١٩–٢٠.

[١١] الحاقة:الايتان ١٥–١٦.

الطليقة المنتشرة قد انحسر ضوئها وطويت اشعتها فلا ضوء ولا شعاع،والنجوم المتماسكة المنيرة قد انفصم رباطها فتناثرت وخبا نورها فاظلمت ايضا.[١٢]

فهذا وصف الباري عزوجل لذلك اليوم العظيم من اندحار الكون وما فيه،وانشقاق السماء ونزل الغمام،ويقول النسفي (انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به،كما تقول: شققت السنام بالشفرة،فانشق بها).[١٣]فعلى هذا يكون الغمام المنزل من الله تعالى هو المسبب الرئيسي لتشقق السموات السبع،لانه الغمام هو المسبب في شق كل سماء والله اعلم.

ففي ذلك اليوم العظيم تتشقق السماء بالغمام أي عن الغمام [١٤]،وتتنزل الملائكة[١٥]،من السماوات الى الارض لحساب الثقلين،كما في قوله تعالى (ونزل الملائكة تنزيلا).

أي –تنزل الملائكة على كثرتها وقوتها محيطين بالخلق مذعنين لامر ربهم،يقفون صفا ،اما صفا واحدا محيطين بالخلائق،واما كل سماء يكونون صفا،ثم السماء التي تليها صفا وهكذا،فيكون هذا اليوم العظيم،غير معهود لدى الخلق،اليوم الذي يلتقي فيه اهل السماء باهل الارض،لقوله تعالى (يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاقي)[١٦]،فيلتقي اهل السماء باهل الارض،وبمعنى: ان المشركين يلاقون ملائكة العذاب بمشهد حي شاخص يهز القلب البشري هزا عنيفا،وهم يبشرونهم بالنار والعذاب الذي يفوق العذاب الجسدي الملموس والمحسوس[١٧]،قال تعالى

(ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم*ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم*فكيف اذا

---

[١٢] ينظر: مشاهد القيامة في القرآن–لسيد قطب،ص٥٧–٥٨–دار الشروق–بيروت–القاهرة.

[١٣] مدارك التنزيل وحقائق التأويل–للنسفي ١٦٤/٣.

[١٤] لان الباءوعن يتعقبان،كما تقول:رميت بالقوس وعن القوس.ينظر: النكت والعيون –لعلي الماوردي١٥٥/٣.

[١٥] الملائكة: جمع ملك،واصله ملاك،من الالوكة وهي الرسالة،والملائكة اجسام لطيفة نورانيةلا تورا بالعين المجردة،اي هم عالم لطيف غيبي غير محسوس،وليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس وهم من عوالم ما وراء الطبيعة،او غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها الا الله ،ينظر/ محيط المحيط–للمعلم بطرس البستاني–مادة ملك –قاموس مطول للغة العربيةتمكتبة بيروت–ساحة رياض الصلح–١٩٧٧،والتعرفات –للجرجاني–مادة ملك–ص١٢٦،العقائد الاسلامية–لسيد سابق،ص١١٢–ط١–رمضان–١٣٨٢هـ.

[١٦] غافر:الاية ١٥.

[١٧] ينظر:في ظلال القرآن–لسيد قطب ٣٠٨/٣،وتيسير الكريم الرحمن–لعبد الرحمن السعدي–ص٧٩٤.

توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم*ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم).[١٨]

واما المؤمنون –فيلاقون ملائكة الرحمة،بالبشرى والحفاوة والتكريم بالجنة وملاذها من الرحمن –عزوجل ،[١٩]قال تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون* نحن اوليائكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيهاغ ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون *نزلا من غفور رحيم)[٢٠].

فيجب الايمان هنا–ان هناك عالما غير عالمنا الحاضر،وسوف يأتي هذا اليوم الموعود لكي نعيش فيه،ان علمنا هذا اختبار وابتلاء وجد الانسان فيه لاجل مسمى،وان الخالق العظيم عز وجل سوف ينهي هذا العالم حين يشاء من امره تعالى،وان الخلق جميعا بما شاء الله تعالى سوف يبعثون مرة اخرى،وسوف تعرض اعمالهم خيرا كانت ام شرا على محكمة الله تعالى الذي بامره عز وجل يجزي كل انسان بما عمل في الحياة الدنيا[٢١]،قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون*ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون*واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون*ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون).[٢٢]

ثانيا:ثبوت الملك لله تعالى

في ذلك اليوم العظيم يكون الملك ثابت دائم للرحمن عز وجل ،وهذا دليل الالوهية ،لان الملك الذي يزول وينقطع ليس بملك،ففي يومئذ يبطل املاك المالكين وانقطعت دعاويهم ،وزال كل ملك وملكه،وبقي الملك لله تعالى–وحده،قال تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن).[٢٣]

---

[١٨]محمد :الايات ٢٥–٢٨.

[١٩]ينظر: الجامع لاحكام القرآن–للقرطبي١٥/٢٣٤،والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج–د.وهبة الزحيلي،١٩/٥٥.

[٢٠]فصلت:الاية ٣٠–٣٢.

[٢١]ينظر:الاسلام يتحدى:لوحيد الدين خان،ص٧٢.

[٢٢]الزمر:الابات ٦٧–٧٠.

[٢٣]الفرقان :الاية ٢٦.

أي الملك في ذلك اليوم العظيم لله تعالى الواحد القهار ،اليوم الذي يخضع له جميع الملوك،وتعنوا له الوجوه،وتذل له الجبابرة ،حيث انه في ذلك اليوم لا مالك سواه[٢٤] لقوله تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار).[٢٥]

لانه (الملك) :-هو المتصرف المطلق.

وملك يوم الدين-هو صفة خالصة لله تعالى وحده،ولا تجوز لغيره تعالى،لانه الخالق العظيم عز وجل هو المتصرف المطلق لهذا اليوم.[٢٦]

وفي هذه الاية الكريمة يوصف الله سبحانه وتعالى لنفسه في ذلك اليوم العظيم بـ(الرحمن) بما يرتاح له القلب وتطمئن به النفوس وتنشرح له الصدور في ذلك اليوم العظيم،فقد اضاف الملك في يوم القيامة لاسمه "الرحمن" التي وسعت رحمته كل شيء وملأت الكائنات،وعمرت بها الدنيا والاخرة، وسبقت رحمته غضبه، وخلق هذا الادمي الضعيف وشرفه وكرمه ليتم عليه نعمته وليتغمده برحمته،وهو به من نفسه ووالديه[٢٧] فسبحان الله تعالى الذي وسعت رحمته كل شيء وهو الرحمن....

والله سبحانه وتعالى كان رحوما مع جميع عباده حتى مع المشركين،حيث الفات انظار المشركين وعقولهم في ذكر صور من قدرته وربط بينها وبين الايمان بيوم القيامة،لتستوعب عقولهم التصورية عن وجود حياة اخرى غير هذه الحياة الدنيا، لقوله تعالى (يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور).[٢٨]

---

[٢٤] ينظر:الكشاف عن حقائقالتنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل-للزمخشري٣/٨٩،والتفسير الوسيط للقرآن الكريم-لمحمد طنطاوي،ص١٧٩٤.

[٢٥] غافر: الاية ١٦.

[٢٦] ينظر: المفردات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني-ص٤٧٢.

[٢٧] ينظر: نظم الدر في تناسب الايات والسور-لبرهان الدين البقاعي ١٣/٣٧٣.

[٢٨] الحج: الايات ٥-٧.

ففي الاية الكريمة استدلال بخلقة الانسان على البعث والنشور يوم الفصل (فكأنه سبحانه وتعالى قال ان كنتم في ريب مما وعدناكم من البعث فتذكروا في خلقتكم الاولى لتعلموا ان القادر على خلقكم اولا قادر على خلقكم ثانيا)[٢٩]،وقد ذكر سبحانه مراتب الخلقة الاولى وقد بينتها سابقا بصورة مختصرة،فاذا كان الناس في ريب من البعث، كانوا يشكون في اعادة الحياة فليتدبروا كيف تنشأ الحياة، ولينظروا في انفسهم وفي الارض حولهم، ففي ذلك من الدلائل التي تنطق لهم بان الامر مألوف ميسور، ولكن اكثر الناس يمرون على هذه الدلائل التي في انفسهم وفي الارض غافلين، ويعقب سيد قطب على هذه الاية فيقول (وان هذه الاطوار التي يمر بها الجنين،ثم يمر بها الطفل بعد ان يرى النور لتشير الى ان الارادة المدبرة لهذه الاطوار ستدفع بالانسان الى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال، اذ ان الانسان لا يبلغ كماله في حياة الارض ،فهو يقف ثم يتراجع:-لكي لا يعلم من بعد علم شيئا فلابد من دار اخرى يتم فيها تمام الانسان، فدلالة هذه الاطوار على البعث دلالة مزدوجة...فهي تدل على البعث من ناحية ان القادر على الانشاء قادر على الاعادة ،وهي تدل على البعث لان الارادة المدبرة تكمل تطوير الانسان في الدار الاخرة... وهكذا تلتقي نواميس الخلق والاعادة،ونواميس الحياة والبعث ونواميس الحساب والجزاء وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر الذي ليس في وجوده جدال).[٣٠]

فالله سبحانه وتعالى يذكر عباده في خلقهم ، أي يذكرهم أليس الذي خلقكم من نطفة بقادر على بعثكم من القبور، ثم وجهت الاية الكريمة العقل الانساني الى احياء الارض الميتة،حيث ان الله تعالى يذكرهم بقدرته ايضا أليس الذي يحيي الارض الميتة بقادر على بعثكم من القبور. فجاءت هنا حكمته جل وعلا ورحمته التي وسعت كل شيء وهو الرحمن، على مخاطبة عقولهم التي لا تتسع افاقهم الفكرية التصويرية كما ذكرناه على البعث،بتذكيرهم بقدرة الرحمن عز وجل في خلقه البشر من نطفة واحياء الارض بعد موتها ،لتستوعب عقولهم بهذه القدرات على ان القادر على هذه الاشياء قادر على احياء الموتى وبعثهم من القبور،وايمانهم الكامل بوجود حياة اخرى غير هذه الحياة الدنيا..

---

[٢٩] مفاتيح الغيب: لفخر الدين الرازي ١٤٣/٦.

[٣٠] في ظلال القرآن-لسيد قطب٢٤١١/٤.

بعد ذكر هذه المشاهد العظيمة من قيام الساعة ،يجب على كل مسلم ومسلمه الايمان الكلي بها وان كانت من الامور الغيبية،لاننا أُمرنا ان نؤمن بها كما هي،ولانه الايمان باليوم الاخر له دور كبير في الزام الانسان بان يسير على منهج الله تعالى ، وبالتالي يكفل له السعادة في الحياة الدنيا والاخرة.[٣١]

ولانه الايمان بالله تعالى مقترن مع الايمان باليوم الاخر، فالايمان بالله تعالى وقدرته يقتضي ضرورة الايمان باليوم الاخر،وهو ركن من اركان الايمان في جميع الازمان،فلا يعقل ان نؤمن بالله تعالى ثم في الوقت نفسه نكفر برسله او رسالاته او ملائكته او اليوم الاخر.[٣٢]

وخلاصة القول ان علينا كمسلمين ان نقف امام هذه الايات العظيمة ،خاشعين مشفقين على انفسنا من هول ما سيمر علينا من آيات ومشاهد عظمى حيث سيجمعنا الله تعالى في هذا اليوم لا محالة، فعلينا ان نعد العدة لذلك اليوم، ونكثر من الزاد، لنحظى بالسعادة الابدية...

ثالثا:-شدة يوم القيامة على الكافرين

يكون هذا اليوم شديدا صعبا على الكافرين ،لما ينالهم من الاهوال، ويلحقهم من الخزي والهوان، كما في قوله تعالى (وكان يوما على الكافرين عسيرا)[٣٣].

أي وكان يوم القيامة على الكافرين يوما عسيرا[٣٤]،لانه يوم عدل وقضاء فصل (محاكمة) ، كما في قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير *على الكافرين غير يسير).[٣٥]

اما المؤمنون فيكون عليهم يوما يسيرا، كما قال تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر)[٣٦]

لانه يكون عليهم كمقدار صلاة مكتوبة ، للحديث الذي رواه ابو سعيد الخدري: قال -قيل يا رسول الله ﷺ (يوم كان مقداره خمسين الف سنة) [٣٧]ما اطول هذا اليوم؟! فقال رسول الله ﷺ

---

[٣١]ينظر: اليوم الاخر-الدكتور عمر الاشقر:٦/١،

[٣٢]ينظر: عفيدة البعث والاخرة في الفكر الاسلامي-الدكتور محمد احمد عبد القادر-ص٣٦-ط١-دار المعرفة الجامعية-الاسكندرية-١٩٨٦م.

[٣٣]الفرقان: جزء من الاية ٢٦.

[٣٤]العسر: هو نقيض اليسر،قال تعالى (فان مع العسر يسرا) سورة الانشراح:الايتان ٥-٦ ، واليوم العسير: أي اليوم الشديد التي تصعب فيه الامور، كما في قوله تعالى (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) سورة المدثر: الايات ٨-١٠ ، ينظر: المفردات في غريب القرآن -لراغب الاصفهاني-ص٣٣٤.

[٣٥]المدثر: الايتان ٩-١٠.

[٣٦]الانبياء: الاية ١٠٣.

(والذي نفسي بيده،انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة،يصليها في الدنيا).[٣٨]

فهذا اليوم العظيم- يكون يوما عسيرا شديدا صعبا على الكافرين،لما ينالهم من الاهوال، ويلحقهم من الخزي والهوان، وهو على المؤمنين يسير اخف من صلاة مكتوبة،كما دل الحديث المتقدم...

رابعا:-حال الظالمين في ذلك اليوم

انه يوم يعض الظالم الكافر وكل مكذب وطاغ على يديه، حسرة والما ما فرط في دنياه،فلم يؤمن بربه وبالرسول محمد ﷺ ،في قوله تعالى :

(ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا وليتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا*لقد اظلني عن الذكر بعد اذ جائني وكان الشيطان للانسان خذولا).[٣٩]

وقوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا)، أي- واذكر يا محمد ﷺ ذلك اليوم العظيم الذي يعض المشرك الظالم على يديه ندما وحسرة واسفا على ما فرط في حياته، وعلى اعراضه عن طريق الحق والهدى الذي جاء به الرسول ﷺ ، ويقول:- يا ليتني اتخذت مع الرسول ﷺ طريقا الى النجاة والسلامة.[٤٠]

فجاءت هذه الاية الكريمة- بذكرندم وحسرة الكافر الظالم يوم يندم فيه ويعض بيديه،فالله سبحانه وتعالى يذكرعباده بهذا اليوم على لسان رسوله ﷺ بذكر ندم وحسرت الكافر الظالم على نفسه، وعض يده ندما وحسرة لما فرط في جنب الله تعالى.

لانه العض-كناية عن الندم والحسرة.[٤١]

---

[٣٧]المعارج: الاية ٤.

[٣٨]المسند للامام احمد ٣/٧٥.

[٣٩] الفرقان: الايات،٢٧-٢٩.

[٤٠]ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم-د. محمد طنطاوي،ص١٧٩٤، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-د. وهبة الزحيلي ١٩/٥٦.

[٤١]العض: هو كناية يفهم منها الحسرة والندم، وكذلك العض على الانامل في الغيض، كقوله تعالى (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) آل عمران الاية ١١٩، ويوقل الضحاك: ياكل يديه الى المرافق ثم تنبت ولا يزال كذلك كلما اكلها تنبت.ينظر: المفردغات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني،ص٣٣٧،وصفوة التفاسير ،لمحمد الصابوني ٠القسم العاشر،ص٤٤، والبحر المحيط-للاندلسي ٦/٤٩٥.

يقول الزمخشري: (عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارّم[٤٢] وقرعها، كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روافدها ،فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه).[٤٣]

فعلى ها كله يكون العض يوم القيامة من عمل الكفرة الظلمة ،كناية عن حسرتهم وندمهم،بسبب فرطهم في جنب الله تعالى. وهذا هووصف الله تعالى للظالمين الكفر في ذلك اليوم العظيم.

ويتمنى الكافر الظالم في ذلك اليوم، ياليتني اتبعت الرسول محمد ﷺ فاتخذت معه طريقا الى الهدى يجنبني العذاب.

لانه يا ليتني- جاءت للتمني ، والتمني- هو طلب شيء مستبعد الحصول عليه، كقول الشاعر:-

الا ليت الشباب يعود يوما

فأخبره بما فعل المشيب

فالكافر الظالم في يوم القيامة يتمنى لو انه سلك في الدنيا سبيلا مع الرسول محمد ﷺ ويتمنى لو انه كان مؤمنا بما جاء به ﷺ .[٤٤]

يقول الالوسي: (يا ليتني اتخذت طريقا الى النجاة، وهو طريق الحق،ولم تتشعب بي طرق الضلالة).[٤٥]

فالكافر الظالم في يوم القيامة يتمنى لو انه سلك في الدنيا سبيل الرسول محمد ﷺ ويتمنى لو انه كان في الدنيا مسلما، ومؤمنا بما جاء به رسول الله ﷺ.

ولكن هذا الامر بعيد جدا وذلك لفوات الاوان.

و (الرسول) هو النبي محمد ﷺ

و (سبيلا) فيه عدة اوجه ذكرها المفسرون : هي:

---

[٤٢]الارم: أي الاضراس.

[٤٣]الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل-للزمخشري ٨٩/٣.

[٤٤]ينظر: الجامع لاحكام القرآن-للقرطبي ٢٦/١٣،والنكت والعيون -لعلي الماوردي ١٥٦/٣.

[٤٥]روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-للالوسي ١٢/١٩ بتصرف.

الاول:-اي اتخذ سبيلا بطاعة الله

الثاني: أي طريقا الى النجاة.

الثالث:-أي وسيلة عند الرسول محمد ﷺ يكون وصلة اليه.[٤٦]

وقال الالوسي (وتنكير (سبيلا) اما للشيوع، او للوحدة، وعدم تفريغه لادعاء تعينه أي يا ليتني اتخذت طريقا الى النجاة، أي طريق كان ، او طريقا واحدا، وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة).[٤٧]

وقوله تعالى (يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا).

أي- يا هلاكي ،ليتني لم اتخذ فلانا الذي اضلني خليلا أي صديقا، ارادني اتباعه، وصرفني عن الهدى،وعدل بي الى طريق الضلال.

لانه (يا ويلتي) دعاء بصيغة التحسر والندامة،والويل:قُبْحُ ، وهي كلمة تقال عند حلول الشر.[٤٨]

فالكافر في ذلك اليوم العظيم، ينادي بالويل والحسرة ،فيقول :-يا ويلتي ويا هلكي، كما في قوله تعالى (يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله)[٤٩]، وقوله تعالى (يقول يا ليتني قدمت لحياتي).[٥٠]و (فلانا) :فلان: هو كناية عن اسم لا يراد ذكره، وكذلك (فلانة) ايضا يكنى لمن لا يراد ذكر اسمها، وقد يقال للواحد (فل) وللاثنين (فلان) وللجميع (فلون) وللمؤنث (فلة، وفلتا، وفلات) وقد منع سيبويه[٥١] ان يقال (فل) ويراد (فلان) الا في الشعر.[٥٢]

و(خليلا) الخليل: هومن الخّلة، وهي الصفوّ والمودّة والصداقة ،فجاءت بهذه العبارة:-اما لانها تتخلل النفس وتتوسطها ،او لانها تخل النفس فتؤثر فيه.[٥٣]

---

[٤٦] ينظر: تفسير غريب القرآن-لابن قتيبة،ص٣١٣.

[٤٧] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-للاوسي ١٢/١٩.

[٤٨] ينظر: المفردات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني ،ص٥٣٥.

[٤٩] الزمر: الاية ٥٦.

[٥٠] الفجر: الاية ٢٤.

[٥١] سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر ،امام البصيرن في النحو،وسيبويه لقب،توفي في البيضاء وقيل بشيراز سنة (١٨٠هـ) ، ينظر: الفهرست-لابن النديم،ص٥١، والبلغة في تاريخ ائمة اللغة-لمجد الدين يعقوب الفيروز آبادي ،ص ١٧٣-١٨٦، منشورات وزارة الثقافة –مطبعة جامعة دمشق-١٩٧٢م-تحقيق:-محمد المصري.

[٥٢] ينظر: المفردات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني-ص٢٩٧،والقاموس المحيط-للفيرز آبادي٤/٥

[٥٣] ينظر: المفردات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني-ص٣٨٦.

وقال ابن عاشور (وانما تمنى ان لا يكون اتخذه خليلا دون تمني ان يكون عصاه فيما سول له قصدا للاشمئزاز من خلته من اصلها، اذ كان الاضلال من احوالها).[٥٤]

فهذا الصديق الذي جعله الظالم الكافر حبيبا مصافيا له، اهلكه في الدنيا والاخرة، ولم يستفد منه الا الشقاء والخسارة والخزي، وجعله يعادي انصع الناس له، وابرهم وارفقهم به ، هو الرسول محمد ﷺ.[٥٥]

وقوله تعالى (لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جائني وكان الشيطان للانسان خذولا).

قوله تعالى (لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جائني) هذا من قول الناس،أي لقد ضللني وحرفني عن ذكر الله والايمان بعد بلوغه الي.[٥٦]

والمعنى :-أي اضلني عن الهدى والايمان بعد ان اهتديت وامنت ،ولكن زين لي الضلالة بخدعه وتسويله.

لانه (اضلني) من الضلال-والضلال ضد الهدى، وهو العدول عن طريق الحق وسلوك طريق الباطل.وفي هذه الاية الكريمة -جاءت الصيغة بمعنى الضلال بلفظ (الاضلال) والذي هو سبب للضلال ،وهو ان يزين للانسان الباطل ليضل عن طريق الحق.[٥٧]

وفي معنى (الذكر) عدة اوجه هي:-

اولا:-ان الذكر: هو النطق بالشهادتين.

ثانيا:-انه ذكر الله عز وجل -القرآن الكريم.

ثالثا:-ان الذكر : هو الرسول محمد ﷺ.[٥٨]

---

[٥٤]التحرير والتنوير: لابن عاشور ١٤/١٩.

[٥٥]كلمة (الظالم) في الاية الكريمة ،يعم بها جميع الظلمة، ويشمل عقبة بن ابي مُعيَط الذي هم بالاسلام ،فمنعه منه صديقه أُمية بن خلف الجمحي، وعضه عقبه يديه او الظالم ندما وحزنا لاجل طاعته خليله، وعدم اتخاذه في الدنيا طريقا الى الجنة ،فيدعو على نفسه بالويل والهلاك على مخالفة الكافر ومتابعته،ويقول:- (ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) عنى "امية" ،وكنى عنه ولم يصرح باسمه،لئلا يكون هذا الوعد مخصوصا به،ولا مقصود عليه،بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما.

فهذه العبارات الثلاث:الظلم وفلان، والشيطان عامة. ينظر:-الجامع لاحكام القرآن -للقرطبي ٢٦/١٣،واصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم-لحسين الدامغاني-ص١٦٤،والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-د. وهبة الزحيلي ٥٧/١٩-٥٨.

[٥٦]ينظر: التفسير الكبير: للرازي ٦٧/٢٤-٧٧.

[٥٧]ينظر: المفردات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني-ص٢٩٧،والقاموس المحيط-للفيروز آبادي ٥/٤.

[٥٨]ينظر: الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٦/١٣،والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل-للزمخشري ٩٠/٣.

يقول ابن عاشور: اذا اردنا معرفة معنى (الذكر)في الاية الكريمة-علينا اولا ان نعود الى كلمة (الظالم).

فاذا كان (الظالم) هو شخص معين، فيكون معنى (الذكر) هو الرسول محمد ﷺ، لان هذا الشخص المعين كان يجالس الرسول ﷺ ويستمع الى ما يقوله من القرآن، ولكن خليله صرفه عن ذلك ،وجعله يعادي الرسول محمد ﷺ.

اما اذا اعتبرنا ان (الظالم) عام لجميع العموم:. فمعنى (الذكر) هو القرآن الكريم. وامكان استماعهم اياه، ولكن الخلة المنحرفة قد اضلت الناس عن سماع القرآن والايمان به.[٥٩]

والذي يبدو ان كلمة (الذكر) تصلح لها جميع معاني تلك الاوجه التفسيرية،لانه يمكن ان يكون معناه هو القرآن الكريم، بعد ان استمعوا اليه من الرسول ﷺ ، ونطقوا بالشهادتين وامنوا به، ولكن الخلة المنحرفة قد اضلت الناس عن سماعه والايمان به...

وقوله تعالى (وكان الشيطان للانسان خذولا).[٦٠]

هذا من قول الله تعالى ،لا من قول الظالم، أي ان من شان الشيطان ان يخذل الانسان عن الحق،ويصرفه عنه،ويدعوه الى الباطل ويستعمله فيه،ثم يتركه ويتبرأ منه عند المحنة، ولا ينفعه في العاقبة.[٦١]

و (الشيطان) من شطن: أي تباعد، والشيطان يطلق على كل متمردمفسد سواء كان من الجن ام من الانس[٦٢]، كما في قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا).[٦٣]

و (خذولا) ، من الخذل: وهو الترك من الاعانة، والتبرؤ من فعله،[٦٤]كما في قوله تعالى (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين).[٦٥]

---

[٥٩]ينظر: التحرير والتنوير-لابن عاشور ١٦/١٩.

[٦٠]الفرقان: الاية ٢٩.

[٦١]ينظر: الجامع لاحكام القرآن ٢٧/١٣،والتحرير والتنوير-لابن عاشور ١٦/١٩.

[٦٢]ينظر: المفردات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني،ص٢٦١، والمعجم الوسيط-اخراج: ابراهيم مصطفى واحمدالزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار ،٤٨٥/١.

[٦٣]الانعام: الاية ١١٢.

[٦٤]ينظر: المفردات في غريب القرآن –لراغب الاصفهاني،ص١٤٤،والقاموس المحيط-للفيروز آبادي ٣٧٨/٣.

[٦٥]الحشر: الاية ١٦.

فعلى هذا الشيطان يوسوس ويغرس بالكفر والشرك والمعصية ،ثم يخذل اتباعه ويتبرؤا من فعتله.

وكل من صد عن سبيل الله واطيع في معصية الله، فهو شيطان للانسان، وخذول عند نزول العذاب والبلاء، كما في قوله تعالى (واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اني جار لكم فلما تراءت الفتئان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم واني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب).[٦٦]

فعلى هذا يتضح لنا: ان ندم (الظالم) في هذه السورة الكريمة ،انما هي بسبب اتخاذ الخليل السيء الذي صرفه عن الله تعالى ،لذلك ان كل خليل وصاحب في الدنيا سوف يكون عدوا يوم القيامة،الا المتقين الذين كانت صحبتهم لله تعالى ،واخوتهم في الله تعالى ،لقوله تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين).[٦٧]

وكما يقول ابن عشور: فيه (ايماء الى ان شان الخلة الثقة بالخليل وحمل مشورته على النصح،فلا ينبغي ان يضع المرء خلته الا حيث يوقن بالسلامة من اشارات السوء،فعلى من يريد اصطفاء خليل ان يسير سيرته في خويصته،فانه سيحصل من يخاله على ما يسير به لنفسه).[٦٨]

فمن هذا وغيره–على كل مسلم ومسلمة ،اذ ارادوا ان ينجو من عذاب النار في الاخرة ،عليه ان يتخذ الاصحاب الصالحين في الدنيا، والذين يقودونه الى طريق النجاة في الاخرة، ولا يكون من النادمين، كما حدث ابي موسى عن النبي محمد ﷺ قال : (انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير،فحامل المسك اما ان يُحْذيك[٦٩]، واما ان تبتاع منه، واما ان تجد ريحا طيبة.ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك ،واما ان تجد ريحا خبيثة).[٧٠]
وقوله ﷺ (الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل).[٧١]

---

[٦٦]الانفال: الاية ٤٨.

[٦٧]الزخرف: الاية ٦٧.

[٦٨]التحرير والتنوير: لابن عاشور ١٥/١٩.

[٦٩]احذاه: أي –اعطاه.

[٧٠]سنن ابي داود–للامام سليمان بن الاشعث–٢٥٩/٤–طبعة دار الفكر–بيروت–راجعه: محمد محي الدين عبد الحميد.

[٧١]سنن الترمذي ٥٨٩/٤.وقال الترمذي: حديث حسن .

وعن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: (عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم ،فانهم زينة في الرخاء،وعدة في البلاء، ضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك،واحذر صديقك الا الامين من القوم، ولا امين الا من خشي الله، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى)، وقال الجنيد[٧٢]،رحمه الله تعالى (لان يصاحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني قارئ سيء الخلق)،وقال الامام الغزالي:(لا تصاحب الا احد الرجلين: رجل تتعلم منه شيئا في امر دينك فينفعك، او رجل تعلمه شيئا في امر دينه فيقبل منك،والثالث فاهرب منه).[٧٣]

فعلى ذلك ينبغي على كل مسلم ومسلمة ان يكون اشد حرصا واوسع حكمة في اختيار الصاحب والخليل في الدنيا،ليفوز بالاخرة بالجنان ،وينجو من النيران....

---

[٧٢]الجنيد: هو ابو القاسم الجنيد بن الجنيد البغدادي،اشتهر بلقب شيخ الطائفة الصوفية،وكان فقيها على مذهب الامام ابي ثور (ت٢٩٨هـ) في بغداد.ينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان-لابي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي-ص٢٣١-٢٣٦،ط٢-مؤسسة الاعلمي للمطبوعات -بيروت-١٩٧٠،والطبقات لكبرى: لمحمد البصري١/١٩٨-١٠١.

[٧٣]ينظر:احياء علوم الدين-للامام الغزالي ٢/١٧٠.